

شکوی و عتاب



[73]

[مجزوء الرمل]

بعث ابن زيدون بهذه القصيدة من سجنه يخاطب الوزير أبا حفص بن برد.

مَا عَلَى ظَنِّي بَأْسٌ يَجْرَحُ الدَّهْرُ وَيَأْسُو (1)
 رَبِّمَا أَشْرَفَ بِالْمَرْءِ عَلَى الْأَمَالِ يَأْسُ (2)
 وَلَقَدْ يُنَجِّيكَ إِغْفَا لٌ وَيُزِدُكَ اخْتِرَاسُ (3)
 وَالْمَحَازِيرُ سِهَامٌ؛ وَالْمَقَادِيرُ قِيَاسُ (4)
 وَلَكُمْ أَجْدَى قُعودٌ؛ وَلَكُمْ أَكْثَى التَّمَاسُ (5)
 وَكَذَا الدَّهْرُ إِذَا مَا عَزَّ نَاسٌ ذَلَّ نَاسٌ (6)
 وَيَبْنُو الْأَيَّامَ أَخِيَا ف: سَرَاةٌ وَخِسَّاسُ (7)
 نَلْبَسُ الدُّنْيَا وَلَكِنْ مُتَعَةً ذَاكَ اللَّبَاسُ (8)

(1) باس: بأس، حرج. ياسو: ياسو، يداوي.

(2) ياس: ياس؛ قنوط.

(3) إغفال: غفلة. يرديك: يوقعك في المهالك. فالمقادير بيد خالقها، فكم سقط حذيرٌ، وكم نجى غافلٌ!!

(4) سهام: أي: سهام صائبة. قياس: جمع قوس.

(5) أجدى: نفع.

(6) أكدى: أبعد وأفضل. فليس السعي والقعود إلا أشكال، والمقادير لا يرددها شيء،

وما قدر فهو كائن، ومن المقدور لا ينجي الحذير. وإذا وقع القدر عمي البصر.

(7) أخياف: مختلفون، وأنواع. سراة: سادة وشرفاء. خساس: أراذل ناقصون.

(8) هنا اقتباس من الآية: ﴿وَمَا لِكَيْفُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْعُرُورِ﴾ [الحديد: 20].

- يا أبا حَفْصٍ وَمَا سَا وَكَفِي فَهَمٍ إِيَّاسٌ⁽¹⁾
- مِنْ سَنَا رَأَيْكَ لِي فِي غَسَقِ الْخَطْبِ اقْتِبَاسٌ⁽²⁾
- وَوِدَادِي لَسْكَ نَصٌّ لَمْ يُخَالِفْهُ قِيَّاسٌ⁽³⁾
- أَنَا حَيْرَانٌ وَلِلْأَمْرِ بِرِؤُوسُوحٍ وَالتَّبَاسُ
- مَا تَرَى فِي مَغْشَرِ حَا لُوا عَنِ الْعَهْدِ وَخَاسُوا⁽⁴⁾
- وَرَأُونِي سَامِرِيًّا يُتَّقَى مِنْهُ الْمَسَاسُ⁽⁵⁾
- أَذُوبٌ هَامَتْ بِلَحْمِي فَانْتِهَاشٌ وَانْتِهَاسٌ⁽⁶⁾
- كُلَّهُمْ يَسْأَلُ عَن حَا لِي وَلِلذُّبِ اغْتِسَاسٌ⁽⁷⁾
- إِنْ قَمَا الدَّهْرُ فَلِمَا ءَمِنَ الصَّخْرَ انْبِجَاسٌ⁽⁸⁾

- (1) إياس: هو إياس بن معاوية المزني، ولي القضاء زمن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، وهو مضرب المثل في الذكاء والفطنة والعدالة.
- (2) سنا: نور وضوء. غسق: ظلمة. اقتباس: أهدى استدلال.
- (3) نص: أي محكم. قياس: استدلال. والنص لا يخالفه قياس؛ لأنه أدنى منه مرتبة.
- (4) خاسوا: خانوا ونقضوا.
- (5) السامري: أحد وجهاء بني إسرائيل؛ كان قد عبد العجل فعوقب بأنه لا يمه أحد إلا حمًّا، فكان يقول: لا مساس؛ كما في الآية: ﴿... لَكَ فِي الْحَيَوةِ أَنْ تَقُولَ لَا يَسَاسٌ...﴾ [طه: 97].
- (6) أذوب: ذئاب. انتهاس بالأضراس، وانتهاس بالأسنان.
- (7) اعتساس: طلب الصيد ليلاً خفية؛ وكان أعداء الشاعر ذئاب؛ يخرجون ليلاً ويصطادون خفية وسرقة؛ ويتجسسون عليه.
- (8) انبجاس: انفجار ونبع الماء؛ وإن من الحجارة لما يتفجر... فيخرج منه الماء.

- وَلَكِنَّ أَمْسَيْتُ مَحْبُوسٌ أَقْلِلْغَيْثٍ اخْتَبَاسُ⁽¹⁾
يَلْبُدُ الْوَرْدُ السَّبَبْتَى وَلَهُ بَعْدُ افْتِرَاسُ⁽²⁾
فَتَأْمَلْ! كَيْفَ يَغْشَى مُقْلَةَ الْمَجْدِ النَّعَاسُ؟⁽³⁾
وَيُفَتِّ الْمِسْكُ فِي التُّرْبِ بِ فَيُوطَا وَيُدَاسُ؟⁽⁴⁾
لَا يَكُنْ عَهْدَكَ وَرَدًا! إِنَّ عَهْدِي لَكَ آسُ⁽⁵⁾
وَأِدِرْ ذِكْرِي كَأَسَا مَا امْتَطَّتْ كَفَّكَ كَاسُ⁽⁶⁾
وَاعْتَنِمَ صَفْوَ اللَّيَالِي؛ إِنَّمَا الْعَيْشُ اخْتِلَاسُ⁽⁷⁾
وَعَسَى أَنْ يَسْمَخَ الدَّهْرُ رُفَقْدَ طَالَ الشَّمَاسُ⁽⁸⁾



- (1) احتباس: منع من نزول الغيث.
(2) يلبد: لا يتحرك. الورد: من أسماء الأسد. السبتى: القوي الجريء، شبه نفسه بالأسد إذ يبقى في عرينه، فكذا شاعرنا في حبسه.
(3) يغشى: يعطي.
(4) يُفَتِّ: يجرأ. في التراب: في التراب. فيوطا: فيوطاً.
(5) الورد: سريع الذبول. والأس: دائم، مستمر.
(6) امتطت: علت. كاس: كأس.
(7) الاختلاس: الأخذ على حين غفلة.
(8) الشماس: الامتناع.

[74]

قال هذه الأبيات بعد فراره من السجن وإقامته بقرطبة متوارياً، وهو يخاطب بها ولادة ويستشفع الأديب أبا بكر إلى أبي الحزم بن جهور ويتظلم من حساده وأعدائه.

- شَحَطْنَا وَمَا بِالذَّارِ نَائِي وَلَا شَحَطُ وَشَطَّ بَمَنْ نَهَوَى الْمَزَارُ وَمَا شَطُّوا⁽¹⁾
 أَحِبَابَنَا! أَلَوْتُ بِحَادِثِ عَهْدِنَا حَوَادِثُ لَا عَقْدُ عَلَيْهَا وَلَا شَرُطُ⁽²⁾
 لَعَمْرُكُمْ إِنْ الزَّمَانَ الَّذِي قَضَى بِشَتَّ جَمِيعِ الشَّمْلِ مَتَا لُمُشَطَّ⁽³⁾
 وَأَمَّا الْكَرَى مُدْلَمِ أَرْزُكُمُ فَهَاجِرُ زِيَارَتُهُ غِيبٌ وَالْمَامَةُ فَرُطُ⁽⁴⁾
 وَمَا شَوْقٌ مَقْتُولِ الْجَوَانِحِ بِالصَّدَى إِلَى نُظْفَةِ زَرْقَاءِ أَضْمَرَهَا وَقُطُ⁽⁵⁾
 بِأَبْرَحَ مِنْ شَوْقِي إِلَيْكُمْ وَدُونَ مَا أُدِيرُ الْمُنَى عَنْهُ الْقَتَادَةُ وَالْحَرْطُ⁽⁶⁾
 وَفِي الرَّبْرِبِ الْإِنْسِيَّ أَحْوَى كِنَاسُهُ نَوَاحِي ضَمِيرِي لَا الْكَثِيبُ وَلَا السَّقَطُ⁽⁷⁾
 غَرِيبُ فُنُونِ الْحُسْنِ يَرْتَاخُ دِرْعُهُ مَتَى ضَاقَ فَرْعًا بِالَّذِي حَارَهُ الْمِرْطُ⁽⁸⁾

(1) شحطت: شطت: نأت وبعدت. شط المزار: بعدت الديار.

(2) ألوت: ذهبت. العهد: العهد والذمة.

(3) شت الشمل: تشتت وتفرق. لمشطط: جائر.

(4) زيارته غيب: قليلة نادرة. إمامه: زيارته. فرط: بعد غياب لا يستقر.

(5) الجوانح: أضلاع الصدر. الصدى: العطش. نقطة: ماء. وقط: حفرة في صخرة.

(6) بأبرح: بأشد وأقسى. القتادة: شجر له شوك. خرط القتادة: انتزاع قشرتها وفي المثل (دونها خرط القتاد).

(7) الربرب: السرب من الظباء. أحوى: في شفته حمرة وسواد. كناسه: بيته.

الكثيب: التل من الرمال. السقط: الرقيق من الرمل.

(8) درعه: قميصه. المرط: كساء؛ يؤتزر به.

- كأن فُوادي يَوْمَ أهوى مُودَعاً هَوَى خافقاً منه بَحِيث هَوَى القِرْطُ (1)
- إذا ما كتابُ الوجودِ أشكلَ سَطْرُهُ فَمَنْ زَفَرْتِي شَكْلٌ وَمَنْ عَبَرْتِي نَقْطُ (2)
- ألا هَلْ أتى الفِثيانَ أنْ فَتَاهُمُ قَرِيصَةٌ مَن يَعْدُو وَنُهْزَةٌ مَن يَسْطُو (3)
- وَأَنَّ الجَوَادَ الفَائِثَ الشَّاوِ صَافِنٌ تَخَوَّنَهُ شَكْلٌ وَأَزْرَى بِهِ رَبْنُطُ (4)
- وَأَنَّ الحُسامَ العَضْبَ ثاوٍ بِجَفْنِهِ وَمَا ذَمُّ مِّنْ عَرَبِيَّةٍ قَدْ وَلَا قَطُّ (5)
- عَلَيْكَ أبا بَكْرٍ بَكْرَتْ بِهِمَّةِ لَهَا الحَظْرُ العَالِي وَإِنْ نالها حَطُّ (6)
- أبي بَعْدَ ما هِيلَ التَّرابُ على أبي وَرَهْطِي قَدْأَ حينَ لَمْ يَبَقْ لي رَهْطُ (7)
- لَكَ النِّعْمَةُ الخُضراءُ تَنْدى ظلالُها عَلِيٍّ وَلَا جَحْدٌ لَدَيَّ وَلَا غَمْطُ (8)
- وَلَوْلَاكَ لَمْ تُثَقِّبْ زِنادُ قَرِيحَتِي فَيَنْتَهَبَ الظُّلْماءُ مِنْ نارِها سِقْطُ (9)

(1) القِرطُ: ما يعلق في شحمة الأذن.

(2) أشكلُ: ضَعَبٌ واختلط. زَفَرْتِي: صوت نفسي؛ أو تنفسي. هيرتي: دموعي. فكان الحزن أخذ منه كل مأخذ؛ وكأنه تنفسه تشكيل الكلمات، ودموعه نقط وتبيان... وكل هذا مجاز وتورية وصور بيانية رائعة.

(3) الفثيان: أهل قرطبة. نهزة من يسطو: صيد من يتصيد ويسيطر.

(4) الشاو: الغاية. صافن: من يقف على قوائم ثلاثة. تخونه: تنقصه. شكل: ربط القوائم. أزرى: أهان.

(5) الحسام العضب: السيف القاطع. ثاوٍ: مقيم. جفنه: غمده. غريبه: حدّيه. قدّ: قطع. قط: القطع عرضاً.

(6) بكرت: شددت إليك السفر باكراً. حط: نزول وانحطاط.

(7) أبي: كأنك بمثابة أبي بعد موت أبي. رهطي: قومي.

(8) الغمط: إنكار النعمة.

(9) في المطبوع (تثَقَّب) والصواب: (تثَقَّب) بالبناء للمجهول. زناد: الزند: عود تقدح به النار. سقط: ما سقط بين الزندين قبيل استحكام إيقاد النار. لم تثقب: لم تظهر =

- وَلَا أَلْفَتْ أَيْدِي الرَّبِيعِ بَدَائِعِي فَمِنْ خَاطِرِي نَثْرٌ وَمَنْ زَهْرِهِ لَقَطٌ (1)
- هَرِمْتُ وَمَا لِلشَّيْبِ وَخَطُّ بَمَفْرَقِي وَكَائِنْ لِشَيْبِ الْهَمِّ فِي كَبْدِي وَخَطُّ (2)
- وَطَاوَلَ سَوْءَ الْحَالِ نَفْسِي فَأَذْكَرْتُ مِنَ الرَّوْضَةِ الْعَنَاءِ طَاوَلَهَا الْفَحْطُ (3)
- مِثُونَ مِنْ الْأَيَّامِ خَمْسٌ قَطَعْتُهَا أَسِيرًا وَإِنْ لَمْ يَبْدُ شَدٌّ وَلَا قَمْطُ (4)
- أَتَتْ بِي كَمَا مَيَّصَ الْإِنَاءُ مِنَ الْأَذَى وَأَذْهَبَ مَا بِالثُّوبِ مِنْ دَرَنِ مَسْطُ (5)
- أَتَذُّو قُطُوفَ الْجَنَّتَيْنِ لِمَعَشِرٍ وَغَايَتِي السُّدْرُ الْقَلِيلُ أَوْ الْخَمْطُ (6)
- وَمَا كَانَ ظَنِّي أَنْ تُعْزَتِي الْمُنَى وَلِلْغَرِّ فِي الْعَشْوَاءِ مِنْ ظَنِّهِ خَبْطُ (7)
- أَمَا وَارْتَنِي النَّجْمَ مَوْطِيءَ أَحْمَصِي لَقَدْ أَوْطَأْتُ خَدِّي لِأَحْمَصٍ مِنْ يَخْطُو (8)
- وَمُسْتَبْطِ الْعُتْبَى إِذَا قَلْتُ قَدْ أَنَى رِضَاءَ تِمَادَى الْعَتْبِ وَأَتَّصَلَ السَّخْطُ (9)

= نارها . فأنت سبب شهرتي، وفتق قريحتي .

- (1) فمِنْ خَاطِرِي: من أفكارِي . لَقَطٌ: ما يلتقط .
- (2) وَخَطُّ: انتشار وظهور . وَكَائِنْ: وصار . لكن الهم الذي سبب المشيب في كبدِي .
- (3) الْفَحْطُ: اليبس، أو قلة الماء، وهنا: طول الهجر وعدم اللقاء .
- (4) مِثُونَ: جمع (مائة) . شَدٌّ وَلَا قَمْطُ: أو ربط الأيدي والأرجل حال الأسر؛ ولم يظهر للرائي، لكن كمن شد عليه وثاقه؛ فلا حيلة لي .
- (5) مَيَّصَ: غسل . مَسْطُ: نقع الثوب وتحريكه وغسله . وَالدَرَنِ: الوسخ .
- (6) السُّدْرُ: النبق . الْخَمْطُ: نبت مر . وهنا اقتباس من الآية ﴿وَيَذَلْنَهُمْ بِحَنَّتِهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشُوْءٍ مِّنْ سِنْدِرٍ قَلِيلٍ﴾ [سبأ: 16] .
- (7) الْغَرِّ: قليل التجارب . الْعَشْوَاءُ: ظلمة الليل . خَبْطُ: سير دون تمكن ولا معرفة .
- (8) [مَوْطِيءٌ]: مكان ما لم يطاء . أَحْمَصُ: أسفل القدم وباطنه .
- (9) أَنَى: حان . تِمَادَى: استمر وازداد .

- وَمَا زَالَ يُذْنِبُنِي وَيُنْثِي قَبُولَهُ هَوَى سَرَفٍ مِنْهُ وَصَاغِيَةٌ قُرْطٌ⁽¹⁾
- وَنَظْمٌ فَنَاءٍ فِي نِظَامٍ وَلَايَةٍ تَحَلَّتْ بِهِ الدُّنْيَا لِأَلِيَّتِهِ وَسَطٌ⁽²⁾
- عَلَى خَضْرَاهَا مِنْهُ وَشَاخٌ مُفْضَلٌ؛ وَفِي رَأْسِهَا تَاجٌ وَفِي جِيدِهَا سِمَطٌ⁽³⁾
- عَدَا سَمَعَهُ عَنِي وَأَصْغَى إِلَى عَدَى لَهُمْ فِي أَدِيمِي كُلَّمَا اسْتَمَكْنَا عَطَّ⁽⁴⁾
- بَلَغْتُ الْمَدَى إِذْ قَصَرُوا فَقَلُوبَهُمْ مَكَامِنُ أَضْغَانٍ أَسَاوِدُهَا رُقْطٌ⁽⁵⁾
- يُؤَلِّوْنَنِي عُرْضَ الْكَرَاهَةِ وَالْقَلَى وَمَا دَهْرُهُمْ إِلَّا النَّفَاسَةُ وَالْغَمَطُ⁽⁶⁾
- وَقَدْ وَسَمُونِي بِأَلْتِي لَسْتُ أَهْلَهَا وَلَمْ يُمَنَّ أَمْثَالِي بِأَمْثَالِهَا قَطَّ⁽⁷⁾
- فَرَزْتُ فَإِنْ قَالُوا الْفِرَارُ إِرَابَةٌ فَقَدْ فَرَّ مُوسَى حِينَ هَمَّ بِهِ الْقَبِطُ⁽⁸⁾
- وَإِنِّي لَرَايَ أَنْ تَعُودَ كَبَدْنِهَا لِي الشِّمَةُ الزَّهْرَاءُ وَالْخُلُقُ السَّبِطُ⁽⁹⁾
- وَجِلْمٌ امْرِيءٍ تَعْفُو الذَّنُوبُ لِعَفْوِهِ وَتُمَحَّى الْخَطَايَا مِثْلَمَا تُمَحَّى الْخَطُّ⁽¹⁰⁾

(1) ينيء: يُبعد. صاغية: ميل، أو سمع.

(2) لآلته: جمع لؤلؤ. وَسَطٌ: نفيسة.

(3) وشاخ: لباس زينة وفخر. جيدها: عنقها. سمط: خيط نظم، أو قلادة.

(4) عدا: صرف. عدى: أعداء. أديمي: جلدي. عط: شق وتمزيق؛ أي: في الغيبة

والبهتان علي.

(5) أساود: حيات. رقط: رقطاع؛ فيها سواد وبياض. أضغان: أحقاد.

(6) القلى: الهجر. النفاسة: البخل. الغمط: إنكار الحق، وعدم الشكر.

(7) وسموني: وصفوني. ولم يمن: ولم يختبر ويمتنح.

(8) إرابة: ريبة وخوف ومنقصة. القبط: قوم مصر في عصر موسى ﷺ؛ ففر منهم

خوفاً.

(9) السبب: السهل.

(10) تعفو: تمحى. مُحَيَّي الخط: أزيلت الكتابة.

- فَمَا لَكَ لَا تَحْتَصِنِي بِشَفَاعَةِ يَلُوحُ عَلَى دَهْرِي لِمَيْسِمِهَا عَلَطُ (1)
 يَفِي بِنَسِيمِ الْعَنْبَرِ الْوَرْدِ نَفْحُهَا إِذَا شَعِشَعَ الْمِسْكَ الْأَحْمَ بِهِ خَلَطُ (2)
 فَإِنْ يُسَعِفِ الْمَوْلَى فَنُعَمَى هَنِيئَةً تُنْفَسُ عَنْ نَفْسِ الْظِّ بِهَا ضَمَغُطُ (3)
 وَإِنْ يَأْبُ إِلَّا قَبْضَ مَبْسُوطِ فَضْلِهِ فَفِي يَدِ مَوْلَى فَوْقَهُ الْقَبْضُ وَالْبَسْطُ (4)

[الطويل]

[75]

- بَنَيْتَ فَلَا تَهْدِمِمْ وَرِشْتَ فَلَا تَبِرِمْ ؛ وَأَمْرَضْتَ حَسَادِي وَحَاشَاكَ أَنْ تُبْرِي (5)
 أَرَى نَبْوَةَ لَمْ أَدْرِ سِرّاً اعْتِرَاضِهَا ؛ وَقَدْ كَانَ يَجْلُو عَارِضَ الْهَمِّ أَنْ أَدْرِي (6)
 جَفَاءً هُوَ اللَّيْلُ اذْلَهَمَ ظِلْمُهُ فَلَا كَوَكَبَ لِلْعُذْرِ فِي أَفْقِهِ يَسْرِي (7)
 هَبِ الْعَزَلَ أَضْحَى لِلْوِلَايَةِ غَايَةً ؛ فَمَا غَايَةُ الْمُوفِيِّ مِنَ الظِّلِّ أَنْ يُكْرِي (8)
 فَنَيْمَ أَرَى رَدَّ السَّلَامِ إِشَارَةً تُسَوِّغُ بِي إِزْرَاءَ مَنْ شَاءَ أَنْ يُزْرِي (9)

(1) ميسمها: علامتها. علط: الوسم في العنق - عرضاً - .

(2) الأحم: الأفضل والأطيب ريحاً.

(3) تنفس: تفرج. الظ بها: لازمها ولصق بها. ضغط: قهر، وضيق وشدة.

(4) مبسوط فضله: ما يجود به. ففي يد مولى فوقه: أي: في يد الله القبض والبسط،

والمع والعتاء، وفي هذا البيت التفات إلى توحيد الله والاعتماد عليه مطلقاً.

(5) رشت: كسوت. لا تبر: لا تضعف. تبري: تشفي.

(6) نبوة: جفوة.

(7) جفاء هو الليل: جفوة كأنها دليل مظلم.

(8) هب: افترض واجعل. يكري: ينقص.

(9) إزراء: تحقير.

- أُنَاسٌ هُمُ أَحْشَى لِلذُّعَاةِ مَقُولِي إِذَا لَمْ يَكُنْ مِمَّا فَعَلْتَ لَهُمْ مُضِرٍ (1)
فِيَانِ عَاقَتِ الْأَقْدَارُ فَالْتَفَسُ حُرَّةً؛ وَإِنْ تَكُنِ الْعُتْبَى فَا حَرِّبَهَا أَحْرًا! (2)

[المقارب]

[76]

يعاتب الوزير ابن عبدوس مزاحمته في حب ولادة بنت المستكفي:

- أَثَرْتُ هَزْبَرَ الشَّرَى إِذْ رَبَضَ وَتَبَّهْتَهُ إِذْ هَدَا فَاغْتَمَضَ (3)
وَمَا زِلْتُ تَبْسُطُ مُسْتَرْسِلًا إِلَيْهِ يَدَ الْبَغْيِ لَمَّا انْقَبَضَ
حَذَارٍ حَذَارٍ فَإِنَّ الْكَرِيمَ إِذَا سِيمَ خَسْفًا أَبِي فَا مَتَعَضَ (4)
فِيَانِ سُكُونُ الشَّجَاعِ النَّهُوسِ لَيْسَ بِمَا زِعِهِ أَنْ يَعْضَ (5)
وَإِنَّ الْكَوَاكِبَ لَا تُسْتَزَلُّ؛ وَإِنَّ الْمَقَادِيرَ لَا تُعْتَرَضُ (6)
إِذَا رِيغَ فَلْيَقْتَصِدْ مُسْرِفٌ مَسَاعٍ يُقَصِّرُ عَنْهَا الْحَفْضُ (7)

- (1) لذعة مقولي: قوة لساني وحجتي. مضر: مغري، ودافع.
(2) أحر: من أحرى: أولى. حري: من أفعال الرجاء، تعمل عمل كان.
(3) هزبر: أسد. الشرى: موضع تكثر فيه الأسد. اغتمض: أغمض عينه.
(4) حذار: اسم فعل أمر، أصله (احذر)؛ فاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره (أنت). سيم خسفاً: ناله مكروه أو ذلّة. امتعض: غضب.
(5) الشجاع النهوس: الحية - الثعبان العضوض.
(6) لا تستزل: لا تُزال عن مكانتها لعلوها ورفعتها. المقادير: المقدرات كائنة لا محالة.
(7) ريغ: مكربّه أو خلدع. فليقتصد: فليخفف. مساع: جمع مسمى. الحفض: الجمل الضعيف.

- وَهَلْ وَارِدُ الْغَمْرِ مِنْ عِدِّهِ يُقَاسُ بِهِ مُسْتَشْفِئُ الْبَرَضِ؟ (1)
- إِذَا الشَّمْسُ قَابَلَتْهَا أَرْمَدًا فَحَظُّ جُفُونِكَ فِي أَنْ تُغْصَ (2)
- أَرَى كُلَّ مُجْرٍ أَبَا عَامِرٍ يُسَرِّ إِذَا فِي خَلَاءٍ رَكَضٍ (3)
- أَعَيْدُكَ مِنْ أَنْ تَرَى مِنْزَعِي إِذَا وَتَرِي بِالْمَنَايَا أَنْقَبَضِ (4)
- فَلِإِنِّي أَلِيْنُ لِمَنْ لَانَ لِي وَأَثْرُكَ مَنْ رَامَ قَسْرِي حَرَضِ (5)
- وَكَمْ حَرَكَ الْعُجْبُ مِنْ حَائِنٍ فَعَادَ زُتُهُ مَا بِهِ مِنْ حَبَضِ (6)
- أَبَا عَامِرٍ أَيْنَ ذَاكَ الْوَفَاءِ إِذِ الدَّهْرُ وَسَنَانُ وَالْعَيْشُ غَضُّ؟ (7)
- وَأَيْنَ الَّذِي كُنْتَ تَعْتَدُ مِنْ مُصَادَقَتِي الْوَاجِبِ الْمُفْتَرَضِ؟ (8)
- تَشُوبٌ وَأَمْحَضُ مُسْتَبْقِيَاً؛ وَهِيَهَاتَ مَنْ شَابَ مَمَّنْ مَحْضِ! (9)

- (1) الغمر: الكثير المياه. عدّه: منبعه. مشف: شارب آخر الإناء. البرض: القليل الباقي.
- (2) قابلتها أرمداً: واجهت أشعتها وأنت أرمد - مصاب بالرمد - . تغص: تغمض؛ فلا تقوى على مواجهة شعاع الشمس.
- (3) أبا عامر: كنيته الثعلب، وفي هذا غمز لابن عبدوس، خصم شاعرنا.
- (4) منزعي: سهمي. المنايا: المهالك والدواهي فلا يغرنك سكوني أو هدوني؛ فليست بعاجز عنك.
- (5) رام قسري: أراد قهري. حرَض: حرضاً: ضعيفاً، وترك الألف للروي.
- (6) حائن: متحين الفرص ليقتص. حبض: حراك.
- (7) أبا عامر: أي يا أبا عامر. وسنان: نعان، غافل، هادئ، مستقر. غض: كثير الخير.
- (8) الواجب المفروض أن تفي بعهدك، وتكون خلاً وفاقاً، لا خائناً غوياً.
- (9) تشوب: تخلط وتراخي وتخون. أمحض: أخلص لك. هيهات: بُعد؛ اسم فعل ماضٍ؛ فالفرق شاسع البين.

- أَبْنُ لِي أَلَمْ أَضْطَلِعْ نَاهِضاً بِأَعْبَاءِ بَرِّكَ فَيَمَنْ نَهَضَ؟⁽¹⁾
- أَلَمْ تَنْشَ مِنْ أَدْبِي نَفْحَةً حَبِئَتْ بِهَا الْمِنِكَ طِيباً يُفَضُّ؟⁽²⁾
- أَلَمْ تَكُ مِنْ ثِيَمَتِي عَادِيّاً إِلَى تُرْعٍ ضَاكَّهَا فُرَضُ؟⁽³⁾
- وَلَوْ لَا اخْتِصَّاصُكَ لَمْ أَلْتَفِتْ لِحَالِيكَ: مِنْ صِحَّةٍ أَوْ مَرَضٍ
- وَلَا عَادَنِي مِنْ وَقَاءِ سُرُورٍ؛ وَلَا نَأَلَنِي لِجَفَاءِ مَضُّضٍ⁽⁴⁾
- يَعِزُّ اغْتِصَارُ الْفَتَى وَإِرْدَاؤُ إِذَا الْبَارِدُ الْعَذْبُ أَهْدَى الْجَرَضُ؟⁽⁵⁾
- عَمَدَتَ لِشِعْرِي وَلَمْ تَتَّيَّبْ تُعَارِضُ جَوْهَرَهُ بِالْعَرَضُ؟⁽⁶⁾
- أَضَاقَتْ أَسَالِيبُ هَذَا الْقَرِيبِ ضِيٌّ؟ أَمْ قَدْ عَفَا رَسْمُهُ فَاثْقَرَضُ؟⁽⁷⁾
- لَعَمْرِي لَفَوْقَتَ سَهْمِ النَّضَالِ وَأَزْسَلَتَهُ لَوْ أَصَبْتَ الْعَرَضُ؟⁽⁸⁾

- (1) ابن لي: أظهر ما عندك. اضطلع: أقوم بذلك على أكمل وجه.
- (2) ألم تنش: ألم تصبك نشوة.
- (3) لقد اتخذت عادتي وكرمي، فانطلقت إلى رحب فسيح. ضاحكتها فرض: سخرت من جدول صغير يُستقى من الماء. فمّني تعلمت، ومن مائي شربت، ثم تعاديني وتحسدني!!
- (4) ماضض: ألم.
- (5) لم يبق من مسلك سهل طيب، حتى كاد الماء العذب يكون غصصاً بالريق!!
- (6) ولم تتب: ولم تستح. الجوهرة: الجوهرة، مقابل العرض. والجوهر: الثابت. والعرض: الوصف الزائل المتبدل.
- (7) عفا رسمه: اندثر وباد. القريض: الشعر.
- (8) فوقت سهم النضال: هياته للضرب، لكنك لن تنال بغيته.

- وَشَمَرْتَ لِلخَوْضِ فِي لُجَّةٍ هِيَ الْبَحْرُ سَاحِلُهَا لَمْ يُخَضِّ (1)
 وَغَرَّكَ مِنْ عَاهِدِ وَلَاذَةٍ سَرَابٌ تَرَأَى وَبَرْقٌ وَمَضُّ (2)
 تَظَنَّ الْوَفَاءَ بِهَا وَالظَّنُّو هِيَ الْمَاءُ يَأْبَى عَلَى قَابِضٍ (3)
 وَتُبِّئْتُهَا بَعْدِي اسْتُخِمِدْتُ بِسِرِّي إِلَيْكَ لَمَعْنِي غَمَضُّ (4)
 أَبَا عَامِرٍ! عَثْرَةٌ فَاسْتَقِلَّ لِتُبْرِمَ مِنْ وُدْنَا مَا انْتَقَضُّ (5)
 وَلَا تَعْتَصِمُ ضَلَّةً بِالْحِجَاكِ؛ وَسَيِّمُ قَرُبَ احْتِجَاكِ دُحَضُّ (6)
 وَإِلَّا انْتَحَتِكَ جُيُوشُ الْعِتَابِ مُنَاجِرَةٌ فِي قَضِيضٍ وَقَضُّ (7)
 وَأَنْذِرْ خَلِيلَكَ مِنْ مَاهِرٍ بِطَبِّ الْجُنُوبِ إِذَا مَا عَرَضُّ (8)
 كَفَيْلٌ بِبَطِّ خُرَاجِ عَسَا؛ جَرِيءٌ عَلَى شَقِّ عِرْقِي نَبْضُ (8)

(1) لجة: ماء مجتمع. لم يخض: لم يأته أحد.

(2) غرّك: من الغرور، خدعك فاستسهلته؛ لكن ظل سراب لا يدوم. برق ومض: برق لمع دونما قطر.

(3) فولادة كالماء، لا يقدر أن يمسكها كف، ولا يستفيد منها أحد. مخض اللبن: استخراج زبدته.

(4) عرفتها: نبئتها. غمض: غامض.

(5) يا أبا عامر، تراجع واعتذر؛ لتعود كما كنت وتجدد عهداً هدمته.

(6) ضلّة: ضلالاً وبهتاناً. الحجاج: الجدال. سيم: اترك. دحض: ردّ وصار واهياً.

(7) انتحتك: جاءتك. مناجرة: محاربة. قضيض وقض: مجتمعة، قوية.

(8) بط خراج: شق هذه الدملة.

- يُبَادِرُ بِالْكَيِّ قَبْلَ الضَّمَادِ وَيُسْعِطُ بِالسَّمِّ لَا بِالْحُضْضِ (1)
 وَأَشْعِرُهُ أَنِّي انْتَخَبْتُ الْبَدِيلَ؛ وَأَعْلِمُهُ أَنِّي اسْتَجَدْتُ الْعَوْضَ (2)
 فَلَا مَشْرَبِي لِقِلَاةِ أَمْرٍ؛ وَلَا مَضْجَعِي لِنَوَاهِ أَقْضَ (3)
 وَإِنَّ يَدَ الْبَيْنِ مَشْكُورَةً لِعَارِ أَمَاطٍ وَوَضِمِ رَحَضِ (4)
 وَحَسْبِي أَنِّي أَطْبْتُ الْجَنَى لِإِبَانِهِ وَأَبْحْتُ النَّفْضَ (5)
 وَيَهْنِيكَ أَنْكَ يَا سَيِّدِي عَدَوْتُ مُقَارِنَ ذَاكَ الرَّبْضِ (6)

[77]

[مأنوس الرمل]

- وَدَعَّ الصَّبْرَ مُجِبًّا وَدَعَكَ ذَائِعٌ مِنْ سِرِّهِ مَا اسْتَوْدَعَكَ (7)
 يَفْرَعُ السِّنَّ عَلَى أَنْ لَمْ يَكُنْ زَادَ فِي تِلْكَ الْخُطَا إِذْ شَيَّعَكَ (8)

(1) الكي: بالنار، ويكون آخرأ، لكن شاعرنا ينبه خصمه أنه إذا استمر في عناده فتكون

الطامة عليه ويمزقه دون رحمة. يسعط بالسم: يعطيه شماً قاتلاً بالأنف.

الحضض: شجر يشبه الفلفل، أي سيكون الدواء السم القاتل لا الدواء.

(2) العوض: البديل.

(3) فلم يتعكر صفوي لجفوته، ولم أتألم في نومي وسريري.

(4) والشكر للأيام حيث كشفت ما خبأه من عار وخزي، وقد غسل عن عيني فرأيته

حقيقة، وبان وصفه وكيده.

(5) ويكفيني أني قد عربته وأسقطته من حسابي، وتركته عرباناً.

(6) الربيض: مريض وماوى الغنم.

(7) ذائع: منتشر. ما استودعك: ما طلب منه إخفاءه.

(8) يفرع السن: يندم على ما فعل. شيعك: ودعك.

يَا أَخَا الْبَدْرِ سَنَاءٌ وَسَنَاءٌ؛ حَفِظَ اللَّهُ زَمَانًا أَظْلَعَكَ
 إِنْ يَطْلُبُ بَعْدَكَ لَيْلَى فَلَكُمْ بَيْتٌ أَشْكُو قِصَرَ اللَّيْلِ مَعَكَ! (1)



(1) بيت أشكو قِصَرَ اللَّيْلِ: لأنني في سعادة لا أود تركها.